دراسات الأدب المعاصر، السنة الثالثة عشرة، ربيع ۱۴۰۰، العدد التاسع والأربعون: صص ۹- ۲۳

ملامح "الديستوبيا" فی شعر أحمد الوائلی، قصيدة "بغداد" نموذَجاً

علیرضا محمدرضایی*
سیدیوسف نجات نژاد**
مصطفی چنانی***

تاریخ الوصول: ۹۹/۳/۱۶
تاریخ القبول: ۹۹/۶/۴

الملخّص

كثير من الكُتّاب والشعراء المعاصرين قد تطرقوا إلى ظاهرة الديستوبيا، أو ما نعبر عنها بالمدينة الفاسدة؛ فی شعرهم وأدبهم وذلک من خلال تسليط الضوء علی مظاهرها السيئة مثل البطالة والفقر المُدقِع والحرمان والحروب وأثرها المزری والسلبی علی الناس؛ لتأنيب ومحاربة السلطات والحكومات الفاسدة التی لا تعمل بحق صالح الشعوب ولا يهمهم مستقبل الأجيال من أمرهم هذا. *أحمد الوائلی* بما أنّه خطيب متفوّه فی العصر المعاصر ولُقِّبَ بعَميد المَنبر الحُسينی والمكتَبة الشيعيّة المتنقِّلة، فی مجال الشعر والأدب أيضاً يُشار إليه بالبَنان. قد إعتنی بالمجتمع الإسلامی عامة والمجتمع العراقی خاصّة، عنايَة المصلح والمرشد الذی يصرِّح ويشير ويحفّز بشعره وخطاباته النافذة والناقدة إلى إصلاح وقلع هذه الظواهر التی تنبعث من المدينة الفاسدة، أو تستبدل المدينة الفاضلة إلى عكسها. فی هذه الدراسة علی منهج الوصفی- التحليلی، ندرس مظاهر الديستوبيا فی قصيدته «بغداد»، وما أشار إليها فی شعره وفی نهاية المطاف نذكر أهم ما وصلنا إليه من النتائج.

الكلمات الدليليّة: الديستوبيا، الوائلی، الشعر، المجتمع، الفوضی.

* أستاذ مشارک بجامعة طهران.
** مرشح للدكتوراه بجامعة طهران.
*** ماجستير من جامعة بيام نور شوش.
الكاتب المسؤول: سيديوسف نجات نژاد
yusofnajad@yahoo.com

المقدمة

الأدب الديستوبى، هو أدبٌ يتكلم عن المجتمعات الفاسدة والمرعبة والتى لا يُرغَب العيش فيها من كثرة مخاوفها وَشَنِّ الفِتَن فيها. فقد أصبح هذا الأدب تُنشَد فيه الأشعار بغيَة لإصلاح المجتمع، فالأدباء والشعراء من خلال التركيز فى آثارهم الأدبية على عناصر الديستوبيا، قد تكَلّموا عن الواقع المرير والمؤلم فى علاقة الإنسان والمدينة الفاسدة والمغبّات الناتجة عن كل ما تَسنّه السلطات الطاغية وما يعمّ أهل المدينة سلبيا من نتائجها، بحيث أصبحت المدينة الفاضلة أو ما نعبر عنها باليوتوبيا، أمل المنشود والضائع لدى كل من أفراد المجتمع الديستوبى. وقد صرّح القرآن الكريم بأنّ المُلوك والسلطة الفاسدة تدمِّر وتستبدل كل من المدينة والبلاد بما فيها من الخيرات والمحسِنات، على ما تشاء من أمرها بشكل غير يُحمد، دون العناية بأهلها ومستقبلها، حيث يقول:

﴿قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ﴾

(نمل/ ٣٤)

فهذه عادة الطغات وجلاوزتهم فى كل بلد ينزلوا على حكمه؛ أن يجعلوا أعزّة أهله أذلّة ويستبدلوا المدن الفاضلة إلى مدن فاسدة. فى هذه الدراسة نتطرق إلى تلك المظاهر والملامح التى تتلقّب بالديستوبيا، على المنهج الوصفى- التحليلى فى شعر *الوائلى*؛ الشاعر الذى كتب الشعر لتَنوير أفكار المسلمين والمظلومين، خاصة شعبه العراقى. حيث جاء بديوانه كثيرٌ من الأشعار التى تحكى لنا عن الأدب الديستوبى ومظاهره. الأشعار التى حاول فيه *الوائلى* إصلاح المجتمع الإسلامى. وبما أنّ الشاعر أُرغِم على التبعيد بسبب منابره الميقّظة وأشعاره المحفّزة والداعيَة إلى الإصلاح فى شتى المحافل الأدبية والعلميّة والندوات. بَقيت محاظراته الفريدة من نوعها حتى بعد وفاته إلى يومنا هذا تُبَثُّ، عبر القنوات فى كثير من الدول الإسلاميّة.

وأسئلَة البحث هى:

- كيف خاطب الشاعر المعنيين بأمر السلطة تجاه الشعب؟
- ما هى أهم مظاهر الديستوبيا الموجودة فى عصر الشاعر التى كان يعانى منها هو والشعب العراقى؟

وهدف البحث هو دراسة أبيات الشاعر *أحمد الوائلى* التى لها صلة بالأدب الديستوبى، حيث جاءت موعِّيَة ومنوّة للشعب، سيّما الشعب العراقى.

خلفيّة البحث

ممّا لا شک فيه بأن كل من الشعراء والأدباء وكل من له يـد فـى إنتـاج الآثـار الأدبيـة والأفلام والصور وما شابهها وشاكَلها، لم يتخطّى ولن ينسى الكلام والإشارة فـى أثـره، عـن الواقع المرير الذى يعيشه مهما كان ويكون. ففى مجـال الديسـتوبيا، أُخرِجـت كثيـر مـن الأفلام السينمائية والمُسَلسلات للتعبير عن واقع المدن المـزرى والمريـر، وكـذلک اقـلام الكتّاب والروائيّين والشعراء أماطت اللثامَ فى هذا المزمار، بتقديم آثارٍ لا تعـد ولا تحصـى، لتنبيه وتوعية الشعب بما هم فيه ويَعمّهم سلبياً. من خلال نظرتنا عبر المواقـع المعتبـرة للبحوث العلميّة المنشورة مثل موقع www.magiran.com، وموقع "علـم نـت" لـم نَمـر على مثل هذا البحث الذى هو بين أيدينا، إلاّ بحوث قد أشارت علـى مصـطلح الديسـتوبيا فى آثار أخرى وهى: «الديستوبيا(المدينة الفاسدة) فى الرواية العربية المعاصرة: قـراءة فـى رواية «أورويل فى الضاحية الجنوبية» لفوزى ذبيان». مجلة إضاءات نقدية، للأستاذة *فاطمة برجكانى*. وأيضاً «الديستوبيا فى الرواية العربية المعاصرة؛ قراءة فى روايـة يوتوبيـا لأحمـد خالد توفيق»، *للأستاذ هومن ناظميان*، التى نُشرت فى المؤتمر الدولى الثامن للغة العربيـة سنة ٢٠١٩. فلم نرى بحثا قد تطرق لدراسة هذه الظاهرة فى شعر *الوائلى*. من جهة أخرى مصطلح الديستوبيا، مصطلح حـديث ولـه علاقـة وطيـدة بحيـاة الشـعب اليوميّـة والأدب الديستوبى كمرآة يعكس تلک الحياة والمسائل التى تعانى منها الـبلاد، مـن هـذا المنظـر تعد هذه الدراسة من الدراسـات الحديثـة ولهـا طـابع إجتمـاعى وإصـلاحى وتتميّـز مـن الدراسات الأخرى التى لم تتطرق لمثل هذا المصطلح وبما فيه من العناصـر الأدبيـة التـى تُسَمّى الأدب الديستوبى.

التعريف بالديستوبيا

«الأدب الديستوبى أو أدب المدينة الفاسدة أو أدب الواقع المرير، هـو مجتمـع خيـالى مخيف أو غير مرغوب فيه، تسوده الفوضى، ومن أبرز ملامحه الخراب والقتل والقمع والفقر والمرض. وهو يأتى فى مقابل أدب اليوتوبيا(Utopia) أى أدب المدينة الفاضلة؛ واليوتوبيـا بمعنى المكان الفاضل الذى ينشد فيـه السـعادة لسُـكّانه. تتنـوع عناصـر الديسـتوبيا فـى القضايا السياسية والإجتماعية والإقتصادية وحتى البيئية، كما أنها تقدم صورة مظلمة عـن

المجتمع الذى يفقد فيه الفرد حرّيته وأمنه وفردانيّتَه وحتى مشاعره»(برجكانى، ٢٠١٨م: ۶). وأيضاً «الديستوبيا تعنى المكان الخبيث الشرير الذى امتلأ فساداً وكآبة، المدينة التى يضربها الفقر والقحط والظلم والضلام وكل آفات الدهر والإنهيار الإجتماعى والقمع السياسى»(www.arageek.com). «مع نشوب الحربين العالميتين الأولى والثانية، وظهور وباء الأنفلونزا، وحدوث الكساد العظيم، ونشوب الحرب الكورية، والحرب فى فيتنام، وغيرها من أحداث القرن العشرين؛ أصبحت الديستوبيا هى الشكل الغالب من الأدب اليوتوبى. ومع أن كلمة "ديستوبيا" استُخدمت أول مرة فى منصف القرن الثامن عشر، واستخدمها الفيلسوف الإنجليزى *جون ستيوارت ميل*، فى خطاب أمام البرلمان فى عام ١٨۶٨م، لم يَشِعِ الشكل الأدبى واستخدام الكلمة لوصفه حتى وقت لاحق فى القرن العشرين»(سارجنت، ٢٠١۶م: ٣٢و٣٣). وبما أنَّ الأدب الديستيوبى «أدبٌ قديم إلى حد ما فى الغرب، إلاّ أنّه يُعتبر حديثاً فى العالم العربى الذى شاهد سابقا أنواعا أخرى من الأدب "الفانتازى" كالأدب العجائبى»(برجكانى، ٢٠١٨م: ٢). فكل ما ذكرناه، هو تعاريف لمصطلح الديستوبيا من المصادر التى ذكرناه، تِلوها. إمّا بالنسبَة إلى شعر *الوائلى* هناك ملامح كثيرة تُلَوّح وتُصرّح إلى هذه الظاهرة، نحن فى هذه الدراسة قد ركَّزنا على قصيدته المعنونة بـ«بغداد»، ودرسنا الأبيات التى قد أشار بها الشاعر الراحل، إلى مظاهر الديستوبية المأساوية، إذ هى:

١.الفقر والحرمان

بغداد جَفّ الربيع الطلق واحترقا وصوّح الرّوض لا زهراً ولا عبقاً
كل اخضلال العصور الخضر حوّله يبساً هجيرٌ لئيمٌ الهب الافقا
وعادت الشمس عمياً والصباح بها خابٍ ولمع السنا لا يبهر الحدقا
الروض ما فيه لا نجمٌ ولا شجر والغيث اخلف لا طلاً ولا ودقاً

(الوائلى،٢٠٠٧م:١٧٨)

يشير الشاعر فى هذه الأبيات مخاطباً مدينة بغداد، إلى الفقر والحرمان الناتجين من السياسات السلبية، التى أبدلت خيرات البلاد التى كأنّها ربيع الطلق والزاهى، إلى الفقر المدقع الذى يشبه الجفاف والتصحّر والنباتات المُتَهشِّمة والمتِحَطِّمة فيه؛ كأنّ ذلك

الربيع(الخير) لم يُغنى بالأمس فى تلك المدينة والعراق عامة. يزيد الشاعر فى وصف ذالک الفقر؛ حيث أصبحت الشمس مُبخِسَة من عطاءِ نورها، مكـدّرة ومظلمـة لا تجـود بسـنائها ولمعها على هذه الأرض، كما كاتف الفقر والحرمان، شِحاح السماء من نثرِ هطول أمطارهـا على الأرض والرياض لكى تستنجدُها من اليبس والتصـحّر والتصوّح(استصـلاب). فبمـا أنّ المطر والربيع يرمز إلى الخير والرزق؛ اليبس والجفاف وشِحاح السـماء مـن مطرهـا أيضـاً يرمز إلى الفقر والحرمان. فالشاعر يلمح بهذه الأبيات إلى تعتيم وإنسداد كل مصادر الخيـر للإستِدرار منها للبلاد وتحسين حال شعبها وظروفها المعيشّة. لهذا أصبحت المدينة خالية من الخيرات وأدّت بذالک الى الفقر والحرمان.

وتطامنت قمم وكنَّ شواهقاً وتحوّلَ الألق الخضيل يباباً

(الوائلى،٢٠٠٧م: ٣٤٨)

يواصل *الوائلى* وصف هذا المظهـر الديسـتيبوبى المـؤلم، حيـث تَتراجـع وتَـنحطّ فيـه المدينة والبلاد إلى الوراء متقهقرَة دون الترقى، وإن كانـت زاهيـة ومتناميـة مثـل القمـم الشاهقة والناطحة للسحاب من قبل عهدها هذا، ولكن الآن ما هى إلاّ كالصـحراء الجـرداء، تَعوى وتَذرى بها الرياح المُرمِلَة.

وفى وسط أدبى وفكرى رفيع المستوى من البلاد العربيـة، فـى مـؤتمر الأدبـاء العـرب الخامس عام ١٩٦٥، يكرر الشاعر تلک المظاهر، مخاطباً "بغداد" بقصيدة أخرى:

بغـداد يومــک لا يزال كَأمـسـه صـورٌ على طرفى نقـيضٍ تُجـــمَع
يطغى النعيم بجانــب وبجانـبٍ يـطغـــى الشّقا فمُــرفّهٌ ومُضـــيَّع
فى القصر أغنية على شَفَةِ الهوى و(فى) الكوخ دَمعٌ فى المحاجر يلذَعُ
ومن الطّوى جنب البـيادر صُرَّعٌ وبجـــنب زقّ أبـــــى نواسٍ صُرَّعُ

(الوائلى،٢٠٠٧: ١٧٨)

يكرر الشاعر فى قصيدته هذه، تلک الحالة المأساوية التى مازالت بِكلتا أجنحتيها؛ الفقر والحرمان، معشعشَة على أكتاف بغداد والعراق. ولم تبرح أن تفارغ هذه الأرض. وإذا هناک كثرة النعيم يطغى، لكى يُمَتِّع ويُلذِّذ القليلين؛ فالكثير من الشعب محرومين منه وَمُفقَّرين من ذلک. أى كأنّ هذا النعيم قد أشدَخ فرق الـبلاد إلـى شـطرين غيـر متسـاويين وغيـر متجانسين، حيث قِسم من هذا الشعب يَتَلهّى بلهو وغناء فى القصور المجَلَّلَة بِبَناءهـا دون

إعتناء بقِسم آخر يزاولون العيشة بائسين فی بيوت وأكـواخ محَقَّـرة بـدموع مهراقـة علـی خدودهم ولذّاعة لمحاجرهم من ألم الفقر والحرمان.

وكذالک ألم الطبقة الكادحة المتصَـرّعة جوعـاً حـول بيـادر مزارعهـا التـی لا إهتمـام لتسويقها وبيعها فی الأسواق من قِبل المعنيين وعدم الإكثرات بها، وهذا ما يضاعف الفقـر والحرمان علی عاتق الشعب، وقسم أخر من كثرة التنعم وإفراطهم فی الهو متصرّعين فـی سهراتهم وأمسياتهم، وهذا من أبرز مظاهر التبعيض وإختلاف معيشـة الشـعب أيضـاً فـی المدن والبلاد.

٢.الحروب والقتل والدمار

ظاهرة الحرب بأشكالها المتعدّدة تُعد من أسوأ وأشـأم مظـاهر الديسـتوبيا فـی المـدن والبلدان المتوغّلَة فيها حيث تَتولد منها شَـتّی المشـاكل بأضـعافها وهـذه مـا حـذّر منهـا الشعراء فی مواقفهم الشعرية علی مَمَر العصور، حيث نری مثلاً الشاعر الجاهلی *زهيـر بـن سلمی* فی معلقته الشهيرة، يعبّر عن حقيقتها المؤلمة والمشـاكل والشـرور التـی تنتجهـا، وإستبقاء أثرها إلی أمد بعيد؛

وما الحربُ الاّ ما علمتم وذُقتم　　وما هو عنها بالحديث المُرَجَّمِ
فَتنتِج لكُم غِلـمانَ أشأمَ كُلّهم　　كَأحمَر عادٍ ثُمَّ تُرضِـع فَتَفطِمِ

(الشنقيطی، لا تا: ٧٤و٧٥)

الوائلی أيضاً بدوره قد أشار بشعره منوّهاً ومذَكّراً بهذه الرزيئة الطاحنَة للـبلاد القاصـمة للظهر بهذه الأبيات وغيرها فی ديوانه:

بغـداد! واحتـربـت علـيک نوازل　　تركت شوامخ ما بنيتِ خَرابا
قد كنتِ فيها الشِّلو ينزف بالدّما　　نزفاً وكان الحـاكم القــصّابا
كانــت رحابــک بالرياض مليئة　　فأتَتـکِ تملأ بالرؤوس رحاباً
فاستهدفت فيک الفنون وهدَّمت　　دور العــلوم وشادت الإرهابا
تَترٌ تَخــوِّضُ بالـدّما وسلاجــق　　لـم تــنمِ إلا قاتــلاً نــهّابا

(الوائلی،٢٠٠٧م: ٣٤٧)

ينشد *الوائلى* مخاطبا بغداد، بأنّ دواهى الحروب والتدمير قد تسابقت بأيديها السفّاكة والمتعطّشة لِلدَم والأرض، بنوايا وأعذار سياسيّة مختلفة لشَنّ الحروب على أرض هذه البلاد. أى كأنّ هذه المدينة أصبحت كالغرض تستهدفها وتَستَفرِسها الحروب النازفة لدمها ونفس الحاكم الظالم كالجزّار القاسى، يآزرها بسياساته. حيث مُلئت ساحات البلاد بدل زهور الخير والنمو وبراعم التطور؛ رؤوس الشعب المحتج على حقه والمُدافع عن نفسه فى هذه الحروب التى لا تكتفى بالقتل وسفک الدماء فقط بل تَسحق وتطحن كل ما شُيِّد على يد مؤسسى الحضارات الكبار من قبل والأبنية التى تركتها العصور الماضية الزاهية بمفاخرها لهذه البلاد. وممّا يؤسَف عليه،كأن قوم تتر وغيرهم من المتوحشين، قد نزلوا بهذه الأرض مرّة أخرى وأخذوا بالنهب والقتل دون إباء وردع من أى الجهات المعنيّة بهذه البلاد.

٣.الحياة الجنسية واللذّات

التاريخ يشهد بأنّ كثير من الحكّام لا يهمّهم من السلطة والحكومة الإّ الحياة الجنسية والملذّات التى يصبحون ويمسون بها هم وحافتَهم، هذا الأمر الذى يأثر على الشعب ويؤدى من بعد ذالک إلى إنهيار أخلاقى للمجتمعات والمدن، *الوائلى* يخاطب بغداد حول هذه القضية المؤسفة بهذه الأبيات:

لكنّ شرّهمُ من جاء ينشد فى معناکِ جاريَة تثرى به الشبقا
لا يبتغى منکِ إلاّ حجر عاهرة تعطى الروادف والأعكان مرتفقا
حتى إذا ما ارتوت منه غرائزه سواکِ عبداً مهيناً يحسن الملقا
يأبون أن يتحسّى الماء غيرهم ويحقدون إذا هذا الهوى انتشقا

(الوائلى٢٠٠٧م: ٣٤٩)

يصف الشاعر هذه الظاهرة، بإستبدال المدينة والبلاد على يد السلطات إلى جارية عاهرة فاسدة يستمتعون ويسترشفون بها كل لذاتهم الجنسيّة وغيرها، بحيث تصبح هذه المدينة والبلاد، ساحة لتفريغ واستجابة ملذاتهم ولا يأبون التجاوز وانتهاک العصم وما حرمه الله فى كتابه. وإذا يرتون من غرائزهم؛ لا يتنصّلون من المدينة إلا أن يجعلونها محقّرة و فقيرة من كل شىء، كما أنّ هؤلاء الحكام والسلطات يأبون أن يتَذوّق غيرهم من

خيرات البلاد ونعيمها وحتى من حقوقهم الإجتماعية. وفعلهم السيّء بالبلادِ هـذا، يسـتمر إلى أن تَخلى أيدى البلاد من كل الثمرات والبركات فـى طريـق اسـتجابة لـذات الحكـام وهوى أنفسهم.

٤.المعاناة اليومية للسُكّان

الخائفون به الأطهار من دنس والآمنـــون به مـن خان أو مرقا
وتسـتعيد مقاييـس اصالـتها فلا يـــعـادل غـــرّيد بمـن نهقا
ويحصد الحقل فلاح اذاب بـه عظامه وسـقاه الكـــدح والعـــرقا
ويعرف المدفع الرشاش موقعه من العِدا لا بصدر الناس لو رشِقا
يا ربّ عطف أن تعـود ضوابط مسـخاً وينقلـــب النّعـــيم عذاباً!

(الوائلى،٢٠٠٧م: ٣٥٠)

من الظواهر الديستوبية الأخرى التى يعانى منها الشعب العراقى، هى المعانـاة اليوميّـة التى مازالت جاثية على البلاد، بحيث كل من هو صالح ونقـى مـن الـدنس، يصـبح خائفـا ومحافظا على نفسه من الحكومة خشيَة أن يُسجَن أو يغتالونه، لأن أفكاره ونواياه لم تمـت بصلة إلى نوايا وأفكار الحكام ومن رافقهم على أمرهم. والمطمئنّون فـى الـبلاد هـم أهـل المكر والنفاق والخيانة والعُملاء وأيضاً قتلة الأبرياء من الشعب، فكـل هـذه الأمـور ومثلهـا التى تعرقل الحياة اليومية مثل الضوابط وسَن القوانين التـى تبـدّل الـنِعَم نِغمَـة للشـعب وعدم تخصيص الإمكانيات والميزانيّة المناسبة لليد العاملة وللفلاحين الذين مصدر رقهـم الحقول والمزارع، فكل هذه معاناة مؤلمة أخرى التى أشار عليها الشاعر.

٥.عدم مراعات القوانين

بغـــداد ساســـك حكام وغاشـــية من سفّ فى حكمه منهم و من سمقا
يا من أدار شؤون الناس فى شطط مـــن المـــقاييس لا عدلا ولا خـــلقا
ولا يؤلّـــه حـــكم فاجر عـــبث يـــداه بالشعب حتـــى بالدّما غـــرقا
واليوم عادت هموم الناس يحكمها ما غيـــّر الشكل والأهـــداف والطرقا

(الوائلى، ٢٠٠٧م:٣٤٤)

عدم مراعات القوانين، من الظواهر التی تجعل المدن والبلاد فـی حالـة مـن الهَمجيّـة والصراعات الداميّة بين الشعب بحيث كل من يريد برأيه يطلـب حقـه مـن مواطنـه بـأی شكل دون الإعتناء بالقانون وما يترتّب من عواقب عليه. وكل من الأقوياء يسـتعبدون كـل من الضُعفاء والذين لا حيلَة لهم ولا مناص من براثن الطغـات، فالشـاعر يشـير إلـی هـذه الظاهرة بأن بغداد قد ساستها حكّام و طغاة مستبدين فی أمرهم وحكمهم الجائر حيـث لا يعرفون من العدل ومقياسه إلا ما تحب أنفسهم. فكيف يستطيع الشعب أن يعيش مطمَئنّاً فی مدينة، قد سادها وساسها حُكّام مرقوا عن طريق الحق والعدل والصـواب، وغيّـروا كـل المناهج الصحيحة والمقبولة عند الناس بإسم القانون.

٦.نعرات الطائفية والعصبيّة

العصبية والنعرات الطائفيّة، من مظاهر المدن الديستيوبية أيضاً التی تَحد وتعرقل نمـو البلاد، وتعرک الشعب بعضهم ببعض لأسباب بسيطة بحيث تَستَفحِل هذه الظـاهرة وتَعـم البلاد كله وحتی تتدرّج هذه القضيّة إلی الحكومة، حيث الحـاكم والسـلطة مـن طائفَـة أو حزب ما تأخذ بأزمَّة الأمور بحذافيرها ولا تترک المجال للأخـرين فـی المشـاركة بـالحكم ومناصب البلاد، إلاّ أن يكون متعصّباً أو يميل إليهم، الوائلی بما أنه قد رأی هـذه الظـاهرة النكراء قد سادت فی البلاد، أشار عليها بأبياته التالية:

ويُصان ذاک لأنّه من معشر ويُضـام ذاک لأنّه لا يـركَع
عفن إلی عصبيّة و عـصابة رجعيّة رجعـت بنا أحـقابا

(الوائلی،٢٠٠٧م: ٣٤٧)

وبربعنا الآن منـها عـصبة عاشت تمجّد عهدها الخلاّبا

(الوائلی،٢٠٠٧م: ٣٤٨)

من خصال العصبيّة والنعرات الطائفيّة كما أشار عليها الشاعر فی هـذه الأبيـات، تبريـر وتحرير جماعة من الشعب وإن كانوا مذنبين ومخطأين، لأنهم يرتبطون نوعـا مـا بالعصـبة والطائفة التی تسود بالحكم. وغيرهم من الشعب هم المـذنبين والمنضـويين تحـت طـوق الظلم والتعسّف، لأنهم لا يسلّمون بأنفسهم ولا يخضعون لحكم الطغات فی الـبلاد. وأيضـاً

المعاناة الأخرى التى انحطّت بالشعب وأسترجعته إلى القرون الجاهليّة؛ هى تفاخر بعض الناس بآبائهم وعهد قبائلهم المنصرم، حسباً ونسباً.

وكذالک فى جزء من ديوانه يشير فى قصيدة إلى عهد *عبد السلام عارف* حيث تميّز عهده بالنعرات الجاهليّة والطائفيّة أيضاً:

فيا باعثيها نعرة جاهليّة (محمدٌ) واراها التّرابَ تورّعوا
عذّرتُكم لو أنّ ما تنبشونه عظام ولكن جيفَة وهى أبشع
ولو أنّ ما تبغونه من ورائها خَفّى لقلنا عابث سوف يقلع
ولكنّه الكرسى مهما برّعتُمُ الخدّاع يُغطّى رأسه ثمَّ يطلَع

(الوائلى، ٢٠٠٧م: ١٥)

ينَدّد الشاعر بعهد حكم الحاكم آنذاک حيث تمثَّل بالنعرات الطائفيّة، قائلاً بأن زمن الطائفيّة والجاهليّة قد مضى حينما جاء الرسول الأكرم محمد*(ص)* وقد طَمَرَها فى حقبة من التاريخ. ولا داعى ولا جدوى إلى ذلک العهد البالى أن تستجدّونه وتبحثون عنه من جديد، بل سوى الفِتَن والهمجيّة وعدم رضاية الشعب لم يجلب لكم شيئاً تمتازون وتَتَباهون وتتفاخرون به وكُل فعلكم هذا يكون خِداعا لكم فى حكمكم وسوف ينقلب عليكم وبالاً ونكالاً، لا قِبَل لكم عليه من كافة الشعب.

ومشت تصنِّفُنا يد مسمومَة متسَنِّنُن هذا وذا متَشيَّعُ

(الوائلى، ٢٠٠٧م: ٣٣٣)

كبُرت مفارقة يمثّل دورُها باسم العروبَة والعروبة أرفَع
فتبيَّنى هذى المهازل واحذرى من مثلها فوراء ذالک إصبع

(الوائلى، ٢٠٠٧م: ١٧٨)

يواصل الشاعر وصف هذه الظاهرة من المدن الديستوبية، بأنّ هناک أيادى وأفكار مفرّقة ومنافقة تدخل بين الشعب والأمّة الواحدة وتجعلها متشتِّتَة حسب ما تريده نواياهم وغاياتهم السياسيّة الفاسدة ومن مثل هذه الأفكار تحزيب الشعب العراقى إلى السنّة والشيعَة ويَشنّون بين أهليهما الصراعات والنعرات الطائفيّة وقد نسوا بأن الله سبحانه وتعالى، قد جعل وارتضى الإسلام ديناً لكل المسلمين ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾(المائدة/٣). فينوّه ويحذّر الشاعر من هذه الطائفيّة

وزرع الحقد والنفاق فى قلوب المسلمين، ويؤكّد بأن خلف كواليس هذه الفكرة أيادى تريد أن تترک بَصماتها الخبيثة على أرض العراق النقيّة والمسلمة.

نتيجة البحث

حسب ما توصّلنا إليه من دراسة هذه الأبيات من ديوان *أحمد الوائلى* وفقاً على ملامح المدينة الديستيوبية وهى الفقر والحرمان، القتل والحروب، المعاناة اليوميّة للسُكّان، الحياة الجنسيّة واشباع اللذّات، تَبيّن لنا أن العراق قد حكمته وساسته حكّام لم تهمّهم مصالح الشعب والأجيال من بعدهم، وكل غاياتهم ونواياهم هى إشباع ذات أنفسهم ومن يمت لهم بصلة من الأحزاب والأقرباء، ولا ينوون إلى اصلاح البلد وإستبدال مدنه إلى المُدن الفاضلة؛ بحيث أدى عملهم هذا إلى تخلف البلاد ومعاناة الشعب وزرع الفتن وإثارة النعرات الطائفيّة. والفقر والحرمان من خيرات هذه البلاد التى هى حق كل من الشعب أن يأخذون حقوقهم منها متساويين مع الآخرين. كما أن الشاعر قد أشار على الواقع المرير الذى يعيشه الشعب والمعاناة اليوميّة التى تَعمّ البلاد ومدن العراق، من النهب والقتل وعدم تخصيص الميزانيّات وعدم إتاحة الفرص العلميّة وتعيين الشباب وأيضاً عدم ترغيب وإزدهار العلم بين الطلبة وأهل العلم، حيث يحصلون بدل الأوسِمة، الرصاص فى صدورهم. *فالوائلى* بدوره كخطيب وشاعر بارع فى بيانه وأدائه واستناداته العلمية والقرآنية والشعرية وشخصيّته البارزة والمرموقة فى البلدان الإسلاميّة وخاصة فى العراق، قد نبّة الشعب العراقى المسلم والبلدان الإسلاميّة أيضاً بتلک الظواهر الديستيوبية المزرية والمؤلمة التى تنشأ وتنمو على يد الحكام والطغاة وتستغلظ جذورها على ممر الزمن إلى أن تقصم ظهر الشعب، وتعرقل حياتهم ومعيشتهم اليوميّة. ووفقاً لما جاء فى شعره يريد فتح الطرق أو إصلاحه للوصول إلى عُقبى تُحمد وتحسين حياة المجتمع الإسلامى والعراق خاصّة.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

تاور سارجنت، لايمان. ٢٠١٦م، **اليوتوبيـة**، ترجمة: ضياء ورّاد، مراجعة: مصـطفى محمـد فـؤاد، القـاهرة: مؤسسة هنداوى للتعليم والثقافة.

الجبورى، سليم. ٢٠٠٦م، **الوائلى تراث خالد**، ط١، لا مک: دار المجلة البيضاء.

الشنقيطى، أحمد الأمين. لا تا، **شرح المعلقات العشر وأخبار شعرائها**، تحقيق وشـرح: فـاتن محمـد خليل اللّبون، بيروت: دار إحياء التراث العربى.

الوائلى، احمد. ٢٠٠٧م، **ديوان الوائلى**، شرح وتدقيق: سمير شيخ الأرض، بيروت: مؤسسة البلاغ للطباعة والنشر والتوزيع.

المقالات

برجكانى، فاطمه. ٢٠١٨م، «**الديستوبيا- المدينة الفاسدة- فى الرواية العربية المعاصرة: قراءة فى رواية أورويل فى الضاحية الجنوبية لفوزى ذبيان**»، مجلة إضاءات نقدية، السنة الثامنة، العدد التاسع والعشرون، صص ١٤٩-١٣١.

زينى وند، تورج. ٢٠١٠م، «**بررسى توصيفى- تحليلى سيماى امـام حسـين(ع) در شـعر دينـى احمد وائلى**»، دوفصلنامه نقد ادب معاصر عربى، سال دوم، شماره اول، ص٣.

سعيد الطريحى، محمد. ١٩٨٩م، «**حياة الوائلى**»، مجلة الموسم، بيـروت، السـنة الأولـى، العـدد(٣-٢)، ص٤٣٨.

صبيح نومان، فضيلة. ٢٠١٨م، «**قصيدة بغداد للشيخ احمد الـوائلى دراسـة فـى ضـوء علـم لغـة النص**»، مجلة الفنون والأدب وعلوم الإنسانيات والإجتماع، العدد ٢٥، ص٢.

المواقع الإلكترونية

www.arageek.com

Bibliography

The Holy Quran

Tover Sargent, Le-iman. 2016, Al-Yawtubiya, translated by Zia Warad, referenced by Mostafa Mohammed Fouad, Cairo: Hindu Institute for Education and Culture .

Al-Jabouri, Salim. 2006, Al-Waeli Tarath Khaled, 1st edition, La Mac: Dar Al-Majallah Al-Bayza.

Al-Shanghiti, Ahmad Al-Amin, La Ta, Sharh Al-Moaleqat Al-Ashar and Akhbar Shoaraaha, research and explanation: Fatan Mohammad Khalil Al-Laboon, Beirut: Dar Al-Ehyaa Al-Tarath Al-Arabi .
Al-Waeli, Ahmad 2007, Diwan al-Waeli, commentary and elaboration: Samir Sheikh Al-Arz, Beirut: Al-Balagh Institution for Printing, Publishing and Distribution.

Articles

Barjakani, Fatemeh 2018, "Dystopia- the corrupt city - in the contemporary Arabic tradition: Gharat Fi Revayat Oroyl Fi Al-Zahiyat Al-Jonubiyat Lafuzi Zebayan", Journal of Ezaat Naghdiyat, Sunnah Al-Thamenah, number 14-19, p 131-149 .
Ziniwand, Touraj. 2010, "Descriptive-analytical study of the image of Imam Hossein (AS) in the religious poetry of Ahmad Waeli", Bi-Quarterly Journal of Critique of Contemporary Arabic Literature, Second Year, First Issue, p.3 .
Saeed Al-Tarihi, Mohammad 1989, "Hayat al-Waeli", Al-Musam Magazine, Beirut, First year, Number (3-2), p. 438.
Sabih Noman, Fazilat, 2018, "Ghasidat Baghdad Lelshaikh Ahmad Al-Vaeli Dorasat Fi Zu Elm Loghat Al-Nas", Journal of Arts, Literature, Humanities and Society, Volume 25, page 2 .
Electronic situations www.arageek.com

The effects of dystopia in the poetry of Ahmad al-Waeli, a case study of the ode "Baghdad"

Alireza Mohammad Rezaei: Associate Professor, University of Tehran
Seyed Yusef Nejat Nejad: PhD student, University of Tehran
Mostafa Chanani: MA in Payame Noor University of Shousha

Abstract

Many contemporary writers and poets have investigated the phenomenon of dystopia or the opposite of the utopia; the corrupt city, in their works, and blamed the oppressive governments and rulers, with their poetry and works, who do nothing for the sake of people and their future but their own interests and supporters, and informed their own people and audiences for the evil effects and stimulated them for their removal and correction. Unemployment, poverty and deprivation of natural and legal blessings, destructive wars and their bad effects, lust and the luxurious life of rulers and leaders of power are its most prominent features. Ahmad al-Waeli warned Iraqi people in a poem titled "Baghdad" and his other poems, against the existence of the corrupt city and criticized the rulers and governments with his poem. In this article, we examine the characteristics of this anti-utopia in the poet's poem "Baghdad" using a descriptive and analytical method, and at the end, we refer to the results of this study.

Keywords: dystopia, al-Waeli, poetry, society, chaos.

جلوه‌های دیستوپیا در شعر احمد الوائلی، نمونه موردی قصیده «بغداد»

علیرضا محمدرضایی*
سیدیوسف نجات نژاد**
مصطفی چنانی***

چکیده

بسیاری از نویسندگان و شاعران معاصر، در آثار خود به پدیده دیستوپیا یا همان متضاد مدینه فاضله، شهر فاسد، پرداخته و با شعر و آثار خود دولت‌ها و حکمرانان ستمگر را که به جز منافع خود و طرفدارانشان، به خاطر مردم و آینده آن‌ها کاری از پیش نمی‌برند، مورد نکوهش و سرزنش قرار داده، و مردم و مخاطبان خود را به پیدایش آثار شوم آن آگاه ساخته و بر رفع و اصلاح آن‌ها تحریک کرده‌اند. پدیده‌ای که بیکاری، فقر و نداری و محرومیت از نعمت‌های طبیعی و حقوقی، جنگ‌های خانمان‌سوز و اثرات بد آن‌ها، شهوت‌رانی و زندگی عیش و نوش‌گونه حاکمان و سردمداران قدرت از شاخص‌ترین ویژگی‌های آن می‌باشد. *احمد الوائلی* در قصیده‌ای با عنوان «بغداد» و در دیگر قصاید خود، مردم کشور عراق را از وجود و پیدایش آثار شهر فاسد بر حذر داشته و حاکمان و دولت‌ها را با شعر خود مورد نکوهش و انتقاد قرار داده است. در این مقاله با استفاده از روش توصیفی- تحلیلی به بررسی شاخصه‌های این ضد آرمانشهر در قصیده «بغداد» این شاعر می‌پردازیم و در پایان به نتایج این بررسی اشاره می‌نماییم.

کلیدواژگان: دیستوپیا، الوائلی، شعر، جامعه، آشوب.

* دانشیار دانشگاه تهران.
** دانشجوی دکترای دانشگاه تهران.
*** کارشناسی ارشد دانشگاه پیام نور شوش.